دلالة توظيف النص القرآني في شعر ابن هانئ الأندلسي

م . حسن جاسب فاتح
وزارة التربية – المديرية العامة لتربية بغداد – الرصافة/3

The significance of employing the Quranic text in the poetry of Ibn Hani Al-Andalusi

Lecturer. Hassan Jasib Fateh

Abstract:

The aim of this research is to demonstrate the impact of the Holy Qur'anic text with its vocabulary, meanings, and stories on the poetry of Ibn Hani Al-Andalusi, and to consider the extent to which the poet reconciled the use of these vocabulary, meanings, and stories, and how to employ them in his poetic purposes and arts, linguistically, semantically, and rhetorically, and also knowing the purpose of those The many employments, in addition to that the study tried to reveal something of the poetic experience in his life and psyche, and the religious dimension in it, and to show the impact of the outward and esoteric Ismaili beliefs in his poetry.

المستخلص :

الهدف من هذا البحث هو بيان أثر النص القرآني الكريم بمفرداته, ومعانيه, وقصصه في شعر ابن هانئ الأندلسي, والنظر في مدى توفيق الشاعر لاستعمال تلك المفردات والمعاني, والقصص, وكيفية توظيّفها في أغراضه وفنونه الشعرية, لغويًا ودلاليًا, وبلاغيًا, وأيضًا معرفة الهدف من تلك التوظيفات الكثيرة, فضلًا عن أنَّ الدراسة حاولت الكشف عن شيءٍ من التجربة الشعرية في حياته ونفسيته, والبعد الديني فيها , وبيان أثر المعتقدات الإسماعيلية الظاهرية والباطنية في شعره.

لقد كان للجانب الديني الأثر الكبير في شعر أبي القاسم محمد بن هانئ بن سعدون المعروف بابن هانئ الاندلسي(362هـ), فمن جهة كان شديد التأثر بآراء وأقوال علماء الكلام الدينية ذات الطابع الفلسفي الجدلي, ومن جهة أخرى دراسته للقرآن وعلومه , والذي يُعدُّ من أهم الروافد التي غَذَّت ديوانه, وأمدَّ بها شعره. فهو البحر الذي اغترف منه, والمتكأ الذي

Article history
Received: 28/9/2023
Accepted: 31/10/2023
Published: 31/12/2023
تواريخ البحث
تاريخ الاستلام:28 /2023/9
تاريخ القبول:2023/10/31
تاريخ النشر : 2023/12/31

الكلمات المفتاحية
ابن هانئ الأندلسي ، التوظيف الدلالي ، الأثر القرآني ، العقيدة الإسماعيلية ، التضمين القرآني
Keywords :
Ibn Hani Al-Andalusi Semantic recruitment, The Quranic impact, The Ismaili faith, Quranic inclusion

© 2023 THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

Corresponding author:
Lecturer. Hassan Jasib Fateh
hfatih475@gmail.com

DOI:
https://doi.org/10.61710/2qfxp874

استند إليه كثيرًا, والمُعين الذي لم يفارقه في تجربته الشعرية ؛ لذلك حفِلَ ديوانه بالمفردات والنصوص والمعاني القرآنية, والتي حاول أن يستغلها ويوظّفها في تكوين بنية نصه الشعري, وإبراز دلالته للمتلقي. وقد تنوعت تلك التوظيفات في مختلف الفنون والأغراض الشعرية, ومن أبرزها المديح, والغزل, والوصف, والهجاء والحكمة , وغيرها.

المقدمة:

لاشكَ في أنَّ العصر الأندلسي يُعدُّ واحداً من أهم العصور التي ارتقى فيها الشعر العربي بشكلٍ كبيرٍ, وبدأت ملامح التطور تظهر عليه, فبعد الفتوحات الإسلامية التي قام بها المسلمون, دخل العربُ إلى بلاد الأندلس, واستقروا فيها, وصار لشعراء هذا العصر مكانة مرموقة ومتميزة, ولعلّ أبرز شعراء هذا العصر وأكثرهم تميّزاً هو الشاعرابن هانئ الأندلسي (362هـ) , وذلك بشهادة الكثير من الأدباء والمؤرخين وأصحاب الطبقات, الذين عدّوا ديوانه أحد أفضل الدواوين في تاريخ الشعر العربي, وركيزة أساسية لاغنى عنها. بل عدّهُ بعضهم مدرسةً شعريةً لها خصائصها ومميزاتها المختلفة, حتى أُطلق عليه (متنبي المغاربة), والقارئ لديوان الشاعر يجد أنَّ ابن هانئ يمتلك معجماً لغوياً ضخماً مليئاً بالمفردات والتراكيب والأساليب اللغوية والبلاغية المتنوعة, ويجد شعره أيضاً مرآة لتلك الحقبة التي عاشها العرب آنذاك, من وجوه عديدة اجتماعية وسيايسة, وحضارية, ودينية, الأمر الذي جعل من ديوانه مادة علمية ضخمة تستحق الدراسة من كل الجوانب. والشيء الذي يلفت للانتباه, والذي نريد الوقوف عليه, وبه تكمن أهمية بحثنا هذا هو لماذا سيطرة المسحة الدينية على شعرابن هانئ على الرغم ما قيل فيه من ميله إلى حياة اللهو والطرب والمجون؟ فالقرآن الكريم بألفاظه, ودلالته, ومعانيه, لا تجده ينفك عن معظم قصائده. فما أسباب ذلك؟ وما أثرالمعتقدات الإسماعيلية التي كان يؤمن بها الشاعر والتي ظهرت بصورة جليّة في شعره؟ وكيف وظّفَ الشاعر آيات الذكر الحكيم في شعره ؟ كل هذه الأسباب دعتني إلى دراسة شعر ابن هانئ بصورة دلالية من خلال أثر القرآن في شعره, وأيضاً الوقوف على بعض المعتقدات الإسماعيلية, وبيان أثرها عليه. ومما أودُّ التنويه إليه والذي كان أحد العوامل المهمة التي دعتني لدراسة شعر ابن هانئ دون غيره من الشعراء, هو قلة الدراسات اللغوية لديوان الشاعر, لاسيّما ما يتعلق بالجانب الدلالي منها, فكانت معظم الدراسات تتعلق بالجانب الأدبي, كالتعرض لسيرة حياته, أو مقارنته بالشاعر المتنبي, أو دراسة الأساليب البلاغية في ديوانه, أو نقد شعره, وغيرها كثير. وقد يكون هذا الأمر بحد ذاته من الصعوبات التي تواجه الباحث في دراسة شعرابن هانئ لغوياً ودلالياً؛ لقلة المصادر اللغوية التي بيّن يديه.

1- توظيف النص القرآني في شعر المديح:

القارئ لديوان ابن هانئ يجد أنَّ غرض المديح أخذ مساحةً واسعةً و كبيرةً جدًا من شعره , تُقدر بثلثي الديوان تقريبًا , فلا غرابة إنْ يأتي معظم ما وظّفه الشاعر من معانٍ, وألفاظٍ , وقصصٍ قرآني في سياق المديح للخلفاء الفاطميين, فهو كما معروف شاعر الدولة الفاطمية الأول, والشاعر الأشهر في المغرب العربي في هذا الغرض, حتى قال فيه ابن خلكان: ((وليس في المغاربة من هو في طبقته لا من متقدميهم ولا من متاخريهم, بل هو أشعرهم على الإطلاق, وهو عندهم كالمتنبي عند المشارقة, وكانا متعاصرين, وله في المعز غُرر المدائح, ونُخب الشعر))(ابن خلكان, ج4, ص424) , فهو الشاعر المُفضّل للخليفة المعز لدين الله, حتى عُرِفَتْ قصائده بالمعزيات على غرار هاشميات الكميت, ورومياات أبي فراس.

وكان الهدف والغاية من التوظيفات القرآنية هو تكثيف المعنى وتقريره, والتقرب من الممدوح أكثر فأكثر , وإقناعه بصدق محبته وولائه له, فضلًا عن ذلك كله عقيدة الشاعر الإسماعيلية التي أباحت له ذلك, وهو ما سنتعرف عليه خلال بحثنا هذا, وأول ما يطالعنا في شعر المديح هو القصص القرآني.

أ) القصص القرآني في شعر المديح:

أخذ الاتجاه القصصي في الشعر الأندلسي بالنمو والتطور والازدها, وقد بلغ مرتبةً عظيمةً في هذا العصر , إذا قيسَ بغيره من العصور الأدبية الأخرى, ولاسيما القصص القرآني, فالقرآن هو المصدر الأول والأهم لثقافة الشعراء الدينية, واللغوية, لذلك فقد ((استوحى الشعراء الأندلسيون النص القرآني بآياته وألفاظه وفواصله ومعانيه وصوره وأحداثه وقصصه استيحاءً فاعلًا يكشف عن أفكارهم ورؤاهم المختلفة, وينقل القارئ من جو الواقع المعيش إلى أجواء تراثية عميقة)). (إبراهيم الياسين, 2006, ص: 18).

ولا نبالغ لو قلنا إنَّ ابن هانئ كان من أكثر الشعراء الذين استشهدوا بالقصص القرآني, و بنصٍ صريحٍ وواضحٍ, لا يشوبه تعقيدٌ أو لفظٌ مبهمٌ, فلم يكن الشاعر الأندلسي بعيدًا عن الدين, فكثير من معانيه وصوره وحتى تعابيره مستمدة من القران الكريم, وقد لا تكون هذه حجة على إيمانه, إذ حفظ القرآن , ومعرفة علومه جزء لا يتجزأ من ثقافة المسلم, ولا سيما في العصور المتقدمة. ولكن التضمين للقصص القرآني عنده يتكرر ويتردد بدرجة تنفي أن يكون مجرَّدَ استثمار لرصيد موروث)). (اليعلاوي ,1985 , ص 342).

و إنَّ استحضار فاعلية القصة القرآنية للتشويق والإقناع أمر بحد ذاته يكشف لنا عن قريحة الشاعر اللغوية, وثقافته الدينية, فها هو يرسم لنا صورةً جميلةً من قصة نبي الله داود (عليه السلام), والخصمين اللذين تسوّرا عليه وهو في محراب عبادته, فيقول : (الديوان:60)

هَبْنـــي كـــذي المحـــراب فيـــك وَلُـــوَّمِيْ كالخصْـــمِ حـــين تَسَـــوَّروا المِحْرابـــا

الشاعر في هذا البيت يشير إشارة واضحة إلى قوله تعالى: **{ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ}** (ص: 21 إلى25) ويضمّن معناه, ويتخذ منه مثلًا على موقفه من ممدوحه (جعفر بن علي بن حمدون), فكيف أن الله غفر لداود خطأه, كذلك يتمنى من ممدوحه جعفر أن يغفر له خطأه.

فابن هانئ شبّه نفسه بداود النبي, ولُوَّامُهُ بالخصم, ووجه الشبه أنَّه ظنَّ في نفسه أنَّه أدّى حقَّ مدح الممدوح, فقد أخطأ في هذا الظن, ولُوَّامُهُ قالوا أنَّه لم يُؤَدِ حقَّ المدح, فكأنهم نبّهوه على خطئه, فقد رجع من ذنبه وتاب , كما فعل داود حين انتبه لخطئه)) (زاهد علي, 1352هـ , ص119).

وحقيقة الأمر أنَّ الشاعر أبدع عندما استعار قصة قرآنية حاول التقرب بها من ممدوحه, وهنا نلمح براعة الشاعر في اعتماد الانزياح الدلالي للألفاظ القرآنية, وعلى النحو الآتي:

الانزياح الدلالي	وجه العلاقة (التماثل)
ابن هانئ = النبي داود ←	الظن
اللوّام = الخصمان ←	التنبيه

ولا تنفك قصائده عن استعارة القصص القرآني؛ وتوظيّفه بما يلائم وغرضه الشعري, لنجده يستعين بقصة أخرى من القرآن, وهي قصة سيدنا موسى (عليه السلام) , ويصف بها ممدوحه الخليفة المعز, فيصوّر لنا وجوده في هذه الدنيا مثل شعلة النار التي عُرضت على نبي الله موسى حين أوقعته الظلمة في الحيرة, فيقول : (الديوان: 20)

مِـنْ شُـعْلةِ القـبسِ التـي عُرِضَـتْ علـى مُوســـى وقـــدْ حـــارَتْ بـــهِ الظَّلمـــاءُ

وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى: **{ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى}** (طه: 9–10)

ولكي تكتمل الصورة الشعرية وفكرتها عند ابن هانئ, والتي يريد أن يحتج بها, ويوصلها إلى متلقيه, ويقنعهم بنصرة ممدوحه, وتأييده, والطاعة له , راح يُذكرُّ من خالفه بقوم نبي الله نوح (عليه السلام), وكيف كانوا لا يستجيبون لدعوته, مستوحيًا ذلك كله من قصة نبي الله نوح مع قومه , فيقول:(الديوان: 241)

أو كنـــتَ نُوحًـــا مُنـــذِرًا فـــي قومِـــهِ مـــــا زادَهـــــم بدُعائِـــــهِ تَضـــــليلا

وفيه تلميح إلى قوله تعالى **{قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا}** (نوح : 5)

و يستمر ابن هانئ في توظيف القصص القرآني في شعره, ولنستعرض بعض أبيات قصيدته التي أنشدها في القيروان, مادحًا بها الخليفة المعز لدين الله, والتي يقول فيها : (الديوان: 301)

هـــذا ضـــميرُ النّشـــأة الأولـــى التـــي بَـــــدَأ الإلـــــهُ وغَيبُهـــــا المكنـــــونُ
وبِـــــذا تلقـــــى آدمُ مِـــــنْ رَبّـــــهِ عَفْـــــواً وفـــــاءَ ليُـــــونُسَ اليَقطـــــينُ
لـــو يَلتَقـــي الطّوفـــانُ قبـــل وجُـــودُه لـــم يُـــنْجِ نُوحًـــا فُلْكُـــهُ المشْـــحونُ

وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى : **{فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** (البقرة 37). وفي عجز البيت إشارة إلى قوله تعالى : **{فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ}** ((الصافات : 145))

ففي هذه الأبيات يُضمّنُ قصة توبة الله على سيدنا آدم (عليه السلام), وغفران ذنبه, وقصة نجاة النبيين الله يونس ونوح (عليهما السلام)

و كأنّه يريد أن ينسب نجاة النبي يونس (عليه السلام) إلى الله تقديرًا وقضاءً, وتنسب إلى العامل الخارجي وهو الخليفة المعز مباشرةً, لأنه في رأي الشاعر شفيع الله في خلقه.

أي أنَّ الحوت لفظه بالعراء, بعد أن يسّر الله له من السبب ما يصل به إلى اليابسة, وهو شفاعة الخليفة المعز له, وهو السبب نفسه الذي من أجله تاب الله على آدم , والذي نجا فيه نبي الله نوح (عليه السلام) من الغرق, في إشارة واضحة إلى قوله تعالى : **{فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}** (الشعراء :119).

وفي هذا الصدد يقول الدكتور زاهد علي, وهو من أفضل شارحي ديوان ابن هانئ, و في نفس الوقت من الباحثين المتعمقين في دراسة العقيدة الإسماعيلية, ومن أحد أبنائها : ((لا شك في أن آدم ويونس كانوا قبل الخليفة المعز الذي يقول الشاعر فيه مثل هذا بزمان طويل, ومضت بينهم وبينه آلاف السنين, فكيف يكون المعز وسيلة لهم غُفرت بها ذنوبهم, وانجلت بها همومهم, فالجواب عن هذا أنَّ محمدًا والأئمة من ذريته أفضل جميع البشر, وأن نورهم خُلِقَ قبل خَلْقِ العالم... وإذا كان الأمر هكذا فالإشارة في قول الشاعر إلى نور الله الأزلي الذي مازال منتقلًا من إمام إلى إمام بعد النبي حتى اتصل بالمعز)). (زاهد علي,1352هـ , المقدمة: ص57)

وحقيقة الأمر إنَّ الدافع العقائدي عند ابن هانئ قد يكون هو السبب الرئيس وراء تضمين أشعاره للآيات القرآنية, بألفاظها ومعانيها وقصصها, وتوظيفها في خدمة ممدوحيه, وهو بخلاف ما يراه الكثير من الباحثين من أنَّ الدافع المالي, كان هو السبب الرئيس وراء ذلك, فتضّمينّه لها كان باعتقادهم وسيلة لتبرير غايته في كسب المال, واستدرار العطاء, والحصول على المنزلة الرفيعة , والتقرب من ممدوحيه.

وربما يستدلون على ذلك بمحاولته تضّمين شعره قصة سيدنا موسى (عليه السلام) مع أخيه هارون, الواردة في قوله تعالى : **{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي* يَفْقَهُواْ قَوْلِي* وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي* هَارُونَ أَخِي* اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي* وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي}** في محاولة منه إلى استخراج تشبيه قرآني مناسب, للتقريب بين الأخوين الأميرين (جعفر وعلي ابنا علي بن حمدون) وحثهما على التفاهم والإخاء, كل ذلك من أجل كسب ودهما, والاقتراب منهما معًا, والانتفاع منهما إلى أقصى درجات الوجود, وعدم تفضيل أحدهما عن الآخر, بما يلائم مصلحته ورغبته الشخصية, التي يصبو إليها, وذلك قوله: (الديوان:153)

لـــــذلك نـــــاجى اللهَ موســـــى نبيُّـــــهُ فنادى أن أشرح ما يَضيقُ به صدري
وهَـبْ لـي وزيـرًا مـن أخـي اسـتعِنْ بـه وشُـــدَّ بـــهِ أزري وأشْـــركه فـــي أمـــري

لكنهم تناسوا المعتقدات الإسماعلية الباطنية, تلك المعتقدات التي تؤكد على العلاقة الوطيدة بين الصامت والناطق, والتي أشار إليها الكثير من علماء وفلاسفة الإسماعيلية, ومنهم أبو يعقوب السجستاني (ت970هـ) بقوله: ((لما كان الناطق يأتي لنسخ شريعة ما قبله بإظهار شريعة جديدة, كذلك يكون الصامت فيأتي لنسخ التأويل الذي قبله, وأنه لابدَّ للناطق من صامت يكون قريبًا منه وأساسًا له. وقد جاء بالقران الكريم: **{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا}** (الفرقان 35), فدلت هذه الآية وغيرها من الآيات على أنه لابدَّ لكل ناطق من صامت يحتاج مشورته, في أمور الدين والدنيا, ومما يجب فيه من الحكمة الإلهية والعناية الربانية, وقد وجب أن يكون الصامت قد اطّلع مثل الناطق على جميع الأسرار الربانية؛ ليمكنه مؤازرته ومعاونته ومعاضدته بتنفيذ أحكامها)) (إحسان إلهي,1987, ص355–356)

نعم يمكن القول إنَّ الهدف المادي كان غايته, ومطلبه الأول من تلك المدائح عندما لم يكن بعد قد تثقف بالثقافة الإسماعلية, ولم يتشبع من عقائدها بصورة كاملة, ولذا يرى القارئ لديوانه, وسيرة حياته أنَّ مدائحه التي كانت في بواكير شعره كانت معتدلةً, خاليةً من الغلو, وبعيدةً عن المبالغة.

غير أنَّ تلك المبالغة والغلو بدأت تظهر في شعره بعدما نضج الشاعر تمامًا, وفهم المعتقدات الإسماعيلية فهمًا كاملًا, ظاهريًا وباطنيًا, وأصبح جزءًا لا يتجزأ منها.

وعليه أخذ ابن هانئ يوسّع استعماله من الآيات القرآنية في الطور الثاني من حياته, ويطلقها على ممدوحيه, وهو في الوقت نفسه دليل على أنَّ الشاعر كان ذا معرفةٍ ودرايةٍ بالقرآن الكريم.

((ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ تلك المعرفة بالقرآن بدأ صداها يزداد عند الشاعر بعد أن دخل المغرب, وأخذ يتعلم معاني القرآن على الطريقة التي يعلّمُها علماء الإسماعيلية, من تأويل لظاهر القرآن تأويلًا يتفق وأهواءهم, فكان إن ترددت أصداء هذه التعاليم في شعره بشكل دعا إلى الشك في عقيدة الشاعر الدينية, فراح علماء السنة يُكفّرونه لغلوه الذي لا يجدون له تفسيرًا وتأويلًا, وربما كان قد قُتِلَ لهذا السبب)). (منير ناجي,1962, ص174–175)

ومازلنا في عرضنا للقصص القرآني في شعر ابن هانئ, ونتوقف قليلًا عند عبارة **{الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ}** (يوسف :51) الواردة في قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) , تلك العبارة التي أبدع الشعراء الاندلسيون في استيحائها وتوظيفها في شعرهم, ولم يكن ابن هانئ بعيدًا عنها, فقد استغلها و أجاد في توظيفها في شعره خير توظيف, فهذه العبارة بما تحتويه من أبعاد ودلالات خفية اكتسبتها من السياق القرآني, قادرة على تكثيف المعنى المراد, والرمز إليه, وتقريره في ذهن السامع, فهو عندما ينتقي كلمة (حصحص) يستفيد من الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم, فحصص الحق أي : ((ظهر وبرز, وهي مأخوذة من الحصحصة, وتعني: بيان الحق بعد كتمانه, وهذه الكلمة تحمل معنى البطء والتّأخر في ظهور الحقّ, ذلك أنه يقال: حصحص فلان: إذا مشى مشي المقيد, وكذلك حصحص البعير إذا أثبتَ ركبتيه للنهوض بالثقل)) (ابن منظور,1996: ج 3, ص205–206).

((ولا يخفى أنّ الإيقاع الموسيقي للكلمة يوحي بالبطء والثقل أيضًا, وهو أمر يتناسب ومعنى الكلمة كما يتناسب والسياق القرآني الذي وُضِعت فيه, إذن من أسرار البيان القرآني اعتماد هذه اللفظة الموحية على لسان امرأة العزيز التي اعترفت بذنبها بعد زمن ليس بيسير)). (وسام قباني, 2012, ص56)

لذلك حاول ابن هانئ توظيفها؛ في خدمة ممدوحه المعز, ولبيان ما تعرض له أهل بيت النبوة من ظلم واضطهاد منذ زمن طويل, وكيف أنّ ممدوحه الخليفة المعز استطاع أن يظهر الحق, ويردَّ حقوق آل البيت التي كانوا محرومين منها منذ أزمنة طويلة, فيقول في مدحه : (الديوان:171)

يـا مَشْـرفيُّ اسْـجُدْ لـه مـن بَيْـنهم يـا باطـلُ ازْهَـقْ يـا حقيقيـةُ حَصْحِصـي

بل نجد أنَّ الشاعر أيّدَ هذا المعنى القرآني (حصحص الحق) بمعنى قرآني سابق وهو قوله تعالى : **{وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}** (الإسراء: 81) , كلُّ هذا من اجل التقرير في نفس السامع, و إقناع المتلقي بصدق دعواه, والتأكيد على سطوة وقدرة ممدوحه الخليفة المعز لدين الله.

ب) الألفاظ والمعاني القرآنية في شعر المديح:

مثلما استفاد ابن هانئ من القصص القرآني في خدمة ممدوحيه , فهناك الكثير من الألفاظ والمعاني القرآنية التي ظهرت بشكلٍ واضحٍ وجلي في شعره, والتي أشار إليها بصورة مباشرة أو غير مباشرة, فكانت وسيلة يعبر بها الشاعر عن حالته في وصف و تصوير عظمة ممدوحه الخليفة المعز, فيضفي عليه الملامح الدينية, والصفات الربانية , فألفاظ (الفردوس, الكوثر, الصمد , القهار, الواحد , العروة الوثقى , الوحي, القرآن, الملائكة, شفاء), وغيرها الكثير من الألفاظ والمعاني التي أُشبع بها ديوانه, بل لا نكاد نرى قصيدة من قصائده تخلو من تلك الألفاظ والمعاني, فلو لاحظنا همزيته الشهيرة نراها تعجُّ بالألفاظ والمعاني القرآنية, و منها قوله : (الديوان:20)

هُــوَ عِلّــةُ الــدُّنيا ومَــنْ خُلِقَــتْ لــه ولِعِلّـــــةٍ مـــــا كانـــــتِ الأشـــــياءُ
مــن صــفوِ مــاء الــوحي وهــو مُجاجــةٌ مـــن حَوْضـــه الينبـــوع وهـــو شـــفاءُ

فالشاعر يرى أن الخليفة الفاطمي هو علة الدنيا, وعلة لوجود هذا الخلق, وأن وجوده من ماء الوحي الصافي الذي هو مُجاجةٌ, ومن حوضه المتفجر ماؤه الذي هو شفاء, في إشارة واضحة وصريحة إلى قوله تعالى : **{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}** (الإسراء: 82)

ولتوكيد المعنى في ذهن السامع يردف ابن هانئ هذه الأبيات ببيتٍ شعري آخر, استوحى فكرته من القرآن الكريم أيضًا, وهو قوله: (الديوان: 25)

فعنَــتْ لــكَ الأبصــارُ وانقــادتْ لــكَ الأقـــدارُ واســـتحيتْ لـــكَ الأنـــواءُ

وهذا المعنى مأخوذ من قوله تعالى : **{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا}** (طه: 111).

فنلاحظ أنَّ الشاعر يصف المعز بما وصفه الله به نفسه, ومثل ذلك قوله: (الديوان: 252)

أمّـــا العيـــانُ فـــلا عِيـــانَ يَحُـــدُّهُ لكـــنْ رُواؤكَ فـــي الضّـــمير مُمثَّـــلُ

أي أنْ ممدوحه لا تستطيع العين أنْ تحدَّ ماهيته, لكن حسنه ماثل في الضمير.

وقد أخذ هذا المعنى من قوله تعالى : **{لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ}** (الأنعام:103)

بل إنَّ ابن هانئ يُشهدُ للمعز بأنَّه منار الدين, وعروته الوثقى التي لا انفصام لها, فيقول:(الديوان:277)

واشْـــهدُ أنَّ الـــدينَّ أنـــتَ مَنَـــارهُ وعُرْوَتُـــه الـــوُثْقَى لـــم تُفَصَّـــمِ

وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى: **{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا}** (البقرة256)

ويتابع ابن الشاعر وصفه للخليفة المعز الفاطمي بما يخالف ويناقض التعاليم الإسلامية, التي جاء بها الدين الحنيف , ليوظف ما أمكن من آيات القرآن الكريم وألفاظه في إعلاء شأن ممدوحه , كما أن الأمر ليس مقتصرًا على المعز نفسه , بل تلك الأوصاف التي كما قلنا تجيزها التعاليم الإسماعيلية تُطلق على كلِّ إمام من الدولة الفاطمية, وفي كلّ زمان. فالخلفاء في نظر ابن هانئ قادرون على تفجير الماء من تحت الصخر, وانبجاسه, وتدفق الأنهار من خلاله, وهو بذلك يرمي إلى قوله تعالى: **{فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً}** (البقرة : 60), غير أن الشاعر يحتاط هنا, ويفترض حدوث إمكانية تلك المعجزة الخارقة بوجود حرف الشرط (لو) وهو حرف امتناع الامتناع, فيقول: (الديوان:146)

لــو تلمســونَ الصَّــخرَ لانبجســتْ بــهِ وتفجَّـــــرتْ وتـــــدفَّقتْ أنهـــــارُ

ويذهب الشاعر كثيرًا في الغلو, ويصور لنا ممدوحه قد وصل مقام النبوة المحمدية, وكان قاب قوسين أو أدنى من حظيرة القدس الإلهي, وهو في الوقت نفسه برهان الله للناس جميعًا, وذلك قوله : (الديوان:240–241)

إنّـــا اسْـــتلمنا رُكْـــنكم ودَنَـــوتُمُ حتـــى اسْـــتَلَمْتُم عَرشَـــهُ المحمـــولا
فَوَصَـــلتُمُ مـــا بيننـــا وأمـــدّكم برهانُـــهُ ســـببًا بـــه موصـــولًا

ففي البيت الأول تلميح إلى قوله تعالى : **{ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى))** (النجم:8– 9), وفي البيت الثاني تلميح إلى قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا}** (النساء174)

ولاعجب في ذلك؛ لانَّ هذا الامر ستجده مترسخًا, عند الخلفاء الفاطميين أنفسهم, فمما ورد في ذلك قول المعز الفاطمي: ((نحن النجباء الأبرار, المصطفون الأخيار, نجل محمد سيد النبيين وخاتم المرسلين, لا ينكر حقنا إلا معاند, ولا يدفعه إلا مكابر, ولا يجهله إلا جاهل, ولا يدعيه إلا ظالم. خصصنا بولادة النبي والوصي, وأورثنا الإمامة, وأعطينا الكرامة, وفضلنا على العالمين. ولو شئنا أن نقول إنّا كنا مع آدم في العرش لقلنا, لأنّ الله تعالى لما خلق آدم (عليه السلام) نظر فرأى في ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله, محمد رسول الله, أيدته بعليّ وأورثته به. فقد ذكرنا الله قبل أن يخلق آدم)). (المغربي,1996, ص 209–210)

والشاعر لا يغفل هذه المصادرة, بل يرددها ويحتج لها ببراهين مختلفة, موظفًا لها ما أمكن من آي الذكر الحكيم, بمعانيها وألفظها, فتارة يترجم الآية القرآنية **{وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ}** (الرعد:7) بما يؤكد أنه لابدَّ للأمة الإسلامية, بل البشرية قاطبة من إمام , من أمام ينير السبيل وينهي عن الضلال, ويعظ ويزجر . (اليعلاوي, 1985, ص266) . فيقول: (الديوان:246)

ولـــيسَ يُنْكَـــرُ مـــن هـــادٍ لأمتِـــهِ غَـــولُ المواحيـــدِ للبُقيـــا علـــى الجُمـــلِ

وتارة أخرى يشبه ممدوحه بالجبال الرواسي التي تمسك الأرض بثقلها, وتمنعها من الانهيار والتصدع والتفتت, فكذلك ممدوحه فهو الضامن والحافظ للبشرية وجودها وتوحدها ,وهو بذلك يحتج بقوله تعالى : **{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}** (النازعات 30), وهذا هو مغزى قوله: (الديوان:283)

وآيـــــةُ هـــــذا دَحـــــا اللهُ أرْضَـــــهُ ولكنّهَـــا لـــم تُـــرْسَ مـــن غيـــرِ معلَـــمِ

إلى أنّ تتجلى تلك العقيدة الإسماعيلية الراسخة عند ابن هانئ تجليًا واضحًا وصريحًا, بما لايقبل الشك في إيمانه المطلق بالخليفة, من حيث كونه الإمام القاهر الذي لا يقف بوجه أحد, وعلى الجميع الخضوع له, وأن يكونوا تحت إمرته وطاعته, متى ما يشاء, وكيفما يشاء, الأمر الذي أراد أنْ يترجمه بقوله: (الديوان:234)

ولقـــد أتَيْـــتَ الأرضَ مـــن أطْرافهـــا حتـــى حَســـبِنَا أنهـــا ســـتزولُ

وهذا المعنى وفكرته, مستوحاة من قوله تعالى: **{أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَـأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُـمُ لاَ مُعَقِّـبَ لِحُكْمِـهِ}** (الرعد: 13) فنلاحظ أن الشاعر استغل الألفاظ القرآنية (نأتي , والأرض, أطرافها), وذلك لتكثيف المعنى وتقويته في ذهن السامع.

2- توظيف النص القرآني في شعر الغزل:

أحد أهم الأغراض التي تطرق لها ابن هانئ في شعره هو الغزل, والقارئ لديوانه يجد أنَّ غزله بصورة عامة كان تقليديًا يُحاكي به الأقدمين, ويوطأ به للمدح, فصورة البطل المقدام الذي يدخل على حبيبته, ويقاتل من أجلها, تراها كثيرًا في شعره.

والشيء الذي نريد الإشارة إليه في غزليات ابن هانئ, وهو ما يهمنا في بحثنا هذا هو إلتفات الشاعر إلى معاني القران الكريم وألفاظه, وتوظفها في غزلياته, فكانت معينًا له يرتكز عليه في ذلك , ومنها ألفاظ (الماء المعين, الموضون, العبقري) , التي استعملها في وصف فراق حبيبته, وذكر ديارها, فيقول في بعد حبيبته عنه: (الديوان:300)

لا الجـــوُّ جَـــوٌّ مُشْـــرقٌ ولـــو اكْتســـى زهـــرًا, ولا المـــاءُ المَعـــينُ مَعِـــينُ
لا يَبْعَـــدَنَّ إذ العبيـــرُ لـــه ثَـــرى والبـــانُ أيْـــكٌ والشُّـــموسُ قَطِـــينُ
أيَّـــامَ فيـــه العبقـــريُّ مُفَـــوَّفٌ والسّـــابِريُّ مُضَـــاعَفٌ مَوضُـــونُ

وهنا يشير إلى الأجواء الحزينة التي خيّمتْ على وادي حبيبته بعد رحيلها, داعيًا الله ان يحفظه من الخراب, فقد كان بديع المنظر, طيب الثرى, تكسوه الخضرة الجميلة.

والألفاظ القرآنية التي أشرنا إليها, والتي وظّفها الشاعر في قصيدته, استوحاها من قوله تعالى: **{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ}** (الملك : 30), وقوله تعالى: **{وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}** (الرحمن: 76), وقوله تعالى : **{عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ}** (الواقعة: 15).

ولا يخفى أن الجناس التام الموجود بين اللفظتين (المعين ومعين) في عجز البيت الأول, قد منح النص جمالية خاصة, نلمح من خلالها ألم الفراق لدى الشاعر, والحالة النفسية التي عاشها.

ووجد ابن هانئ أيضًا من قوله تعالى : **{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا}** (يوسف :24) مادة خصبة يفيد منها بما يتناسب وتجربته الشخصية, فها هو يقول متغزلًا في مسرى لمحبوبته: (الديوان:295–296)

طرقْــتُ فتــاةَ الحــيِّ إذ نــامَ أهلُهــا ... وقَــدْ قــامَ ليــلُ العاشــقينَ علــى قَــدَمْ
هتكــتُ سُــجوفَ الخِــدرِ وهــو بمرصَــدٍ ... فلمّــا تعارفْنــا هممْــتُ بــه وهَــمْ
فبــادرتُ ســيفي حــينَ بــادرَ ســيفُهُ ... فثــارَ إلــى مــاضٍ وثُــرتُ إلــى خَــذِمْ

وفي هذه الأبيات نلمح عند الشّاعر توظيفًا دلاليًا جميلًا للفظة (الهمّ), فينقل لنا صورة الإغواء بين الرجل والمرأة إلى ميدان الفروسية, ووصف بطولاته وشجاعته . فهو يستعير فكرة (الهمّ) من النص القرآني لكنه لا يوظِّفها في إطار الغزل, فالهمُّ في النص الشعري لم يجرِ بين ذكرٍ وانثى, وإنّما بين الشاعر وخصمه, فالشاعر الجريء اقتحم خدر محبوبته قسرًا رغم وجود الحرّاس, فثار أحد أقربائها إلى النيل منه, وهمَّ كلُّ واحدٍ منهما بقتل الآخر. ومهما بلغت درجة الإنزياح في النّص الشّعري فإنَّ الآية الكريمة التي استوحاها الشاعر تعبّر عن لحظة انفعالية حاسمة قصد الشّاعر إلى استحضارها إلى ذهن المتلقي؛ ليثير جوّاً من التّشويق في النّص. (وسام قباني,2012 , ص38)

3- توظيف النص القرآني في شعر الوصف:

لم يكن لفن الوصف استقلالية خاصة في شعر ابن هانئ, بل حتى نراه بعيدًا كلَّ البعد عن وصف الطبيعة الأندلسية وجمالها, وكأنها ليست لها أثرٌ في شعره. فالشاعر انصرف انصرافًا تامًا لغرض المديح, وهو بحكم هذا الغرض اضطر إلى أن يصف جيش المعز وقوته, والأساطيل البحرية, ولقد أجاد في ذلك كثيرًا, حتى عُدَّ من أعظم الشعراء في وصف الأساطيل.

وأول ما يطالعنا في ذلك اللفظة الموصوفة (الجواري المنشآت),التي تكررت لديه في أكثر من مناسبة, والمقصود بها السفن الكبيرة, التي تمخر في البحار, وتشقها بإذن الله سبحانه وتعالى, والتي ينشئها الناس, فتكون من عظمها وكبرها مثل الجبال العظيمة (الأعلام), وهي من دلائل القدرة الالهية الباهرة, وسلطانه في تسخيره البحر لتجري فيه الفلك بأمره.

وبما أن ابن هانئ من أكثر الشعراء وأبدعهم في وصف الأساطيل والسفن الحربية لذلك نراه يبدع في ذلك التوظيف القرآني للفظة, فيقول في وصفه لأسطول الخليفة: (الديوان:23)

ولـــكَ الجـــواري المُنشَـــآتُ مـــواخِراً تَجـــري بـــأمركَ والريـــاحُ رُخَـــاءُ

أي أن السفن هذه تجري في البحر, وتشق الأمواج بأمر ممدوحه الخليفة المعز, بل حتى الرياح تصبح رخاءً؛ لأنها مأمورة بأمره, وتحت طوعه.

واللفظ والمعنى متضمن قوله تعالى: **{وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}** (الرحمن: 24)

وفي سياق مشابه يقول: (الديوان:102)

أمَـا والجـواري المُنشـآتِ التـي سـرَتْ لقـــد ظاهرَتُهـــا عُـــدّةٌ وعَديـــدُ

الشاعر في البيت يصف السفن الحربية التي يقودها المعز, وما تحمله من جيشٍ عظيمٍ و كبيرٍ, وسلاح كثيرٍ, وهو المراد بالعُدَّة والعديد.

ولكي يُعضّد قوله هذا نراه يستعير صورة الملائكة المُسوّمين, الذين أرسلهم الله لنصرة نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم), وذلك لبث الخوف والرعب في قلوب أعداء المعز, ووهن عزيمتهم , لذلك نراه يقول : (الديوان:102)

ولله ممّـــا لا يـــرون كتائـــبٌ مُســـوَّمة تَحْـــدُو بهـــا وجنُـــودُ

أطـــاعَ لهـــا أنّ الملائـــكَ خلفَهـــا كمـــا وقَفَـــتْ خلْـــفَ الصـــفوفِ ورودُ

والمعنى مأخوذ من قوله تعالى : **{بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ}** (ال عمران 125)

ويصف أيضًا جنوده بأنّهم الحجارة ذات اللهب الساطع , والقطع النارية التي يرجم بها أعداءه, فيقول: (الديوان:278)

لـــديكَ جُنـــودُ الله منْهـــا رُجُومـــهُ فمـــن مـــارجٍ نـــارٍ وكِســـفٍ مُضَـــرَّمِ

وفكرة البيت مستوحاة من قوله تعالى **{وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ}** (الملك: 5) , ومستعينًا بألفاظ نص قرآني آخر هو قوله : **{وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ}** (الرحمن:15)

كذلك كان لابن هانئ اهتمام خاص بالخيل ووصفها, فهو يجيد كثيرًا في ذكر محاسنها, وركضها , وتعداد ألوانها؛ وذلك بحكم عشق الخليفة المعز لها, وشغفه بها, والميل لها. الأمر الذي تنبّه إليه الشاعر, فلجأ إلى الرصيد القرآني, ووظّفه خير توظيف , واستخرج منه تشبيهًا في غاية الروعة, مقارنًا بين حب النبي سليمان (عليه السلام) للخيل, وحب المعز الفاطمي لها, مُقرّاً بالغلبة والسبق لممدوحه, واصفًا ذلك الحب بغاية الجمال, فيقول : (الديوان:203)

أنـــتَ اصْـــفَيتَهُنَّ حُـــبَّ ســـليمانَ قـــــديمًا للصـــــافناتِ العِتـــــاقِ
لـــو رأى مـــا رأيـــتَ منهـــا إلـــى أنْ تتـــوارى شـــمسٌ بســـجفِ الغَســـاقِ
لـــم يقـــل رُدَّهَـــا علـــيَّ ولا يطفـــق مَسْـــــحًا بالسُّـــــوق والأعْنَـــــاقِ

والمعنى المُراد من هذه الأبيات أن الخليفة المعز في رأي الشاعر أعلم وأعرف من النبي سليمان بمحاسن الخيل, وزينتها, وتربيتها, فإنَّ النبي سليمان لو رأى منها ما رأى الخليفة المعز, لم يقل لقومه رُدّوُها عليّ, ولم يضرب سوقها وأعناقها.

وهذا الأبيات الشعرية بمعانيها وألفاظها تتناص تمامًا مع قوله تعالى: **{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ }** (ص: 30, 31, 32, 33)

أمّا الألفاظ القرآنية (بَوَّأنا, الجنة , والكوثر) فجاءت أيضًا في وصف شغف المعز بها, فيقول: (الديوان:140)

وَبَوَّأهـــا مـــن أطيـــبِ الأرضِ جَنّـــةً وأجْـرى لهـا مـن أعـذبِ المـاء كـوثرا

4- توظيف النص القرآني في شعر الهجاء:

جاء أيضًا أغلب توظيف النصوص القرآنية في هجاء ابن هانئ عرضيًا في مدائحه فلم يكن له قصائد كثيرة ومستقلة بذاتها في هذا الباب إلا ما ندر, وهو بحكم كونه شاعر المعز الأول , فإنَّه يُعرّضُ في مدائحه بخصوم المعز من الروم والأمويين والعباسيين والمروانيين, ويهجوهم, ويذمهم ويدعو عليهم, دونما هوادة, فمن ذلك قوله في فتح مصر, ودعائِه على بني العباس:(الديوان:131)

فكونـــوا حصـــيدًا خامـــدينَ أو ارعـــووا إلـــى مَلـــكٍ فـــي كفِّـــهِ المـــوتُ والنشـــرُ

في إشارة إلى قوله تعالى: **{ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ}** (الانبياء :15)

فهو يدعو عليهم أن يكونوا كالزرع المحصود بالمناجل, ميتين كخمود النار إذا سكنت وانطفأت.

ومنها قوله في الدعاء على من تخلف عن نصرة المعز, وأطاع غيره: (الديوان:189)

لا يُنْبِعـــــــــدَنَّ اللهُ إلا مَعْشَـــــــــرًا اضْـــحوا علـــى الاصـــنام مـــنكُم عُكَّفـــا

وهنا نلمح توظيفًا دلاليًا بديعًا, فالشاعر ياتي بمعنى جديد للفظة (الأصنام), استوحاه من النص القرآني **{يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ}**, ونظّمهُ في نسق مغاير يهزُّ به مشاعر المتلقي؛ لأنه لم يكن يريد تلك الأصنام والأوثان التي سأل بنو إسرائيل النبي موسى عليها, ولكنه أراد بها أمراءهم وقاداتهم الذين

اطاعوهم بغير علمٍ ولا درايةٍ, فهؤلاء القادة لا يقدرون على دفع الشر أو جلب الخير لهم , فشبههم بالأصنام والحجارة , التي لا تنفع ولا تضر, وهو هجاء لاذع وفيه وعيد .

لقد كانت لفظة (الأصنام) بمعناها المجازي هي الأداة الإبداعية والمحور الذي استعمله الشاعر في هذا السياق , إذ العدول إلى الاستعمال المجازي للتعبير عن معنى من المعاني من أهم أغراضه الاتساع في دلالة الكلمة, وتوكيد معناها, أو جعلها في سياق يناسب السامع والمتلقي.

وكما أكدنا على الانتماء الشيعي للشاعر, والتمسك بعقيدته الإسماعيلية, التي تدعو للخلافة الفاطمية, نراه دائماً ما يذم الأمويين, ويتهجم عليهم, ويذكرّهم بوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في ابن عمه علي بن ابي طالب (عليه السلام), وكيف خالفوها من بعده, مشبهًا إيّاهم بقوم موسى (عليه السلام) بعد أن غاب عنهم, فعبدوا من بعده العجل, في إشارة إلى قوله تعالى: **{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ}** (الأعراف:148), فيقول في ذلك المعنى : (الديوان:303)

لكـــنّكم كنـــتم كأهـــل العجـــل لـــم يحفـــظ لموســـى فـــيهم هَـــارُونُ
لـــو تســـألونَ القَبـــرَ يـــومَ فَـــرِحتُمُ لأجـــابَ أنَّ محمـــدًا محـــزونُ

5- توظيّف النص القرآني في شعر الزمن والحكمة:

إنَّ ابن هانئ غالبًا ما يتعمد الإشارة إلى الآيات القرآنية التي تشير إلى الزمن, وتتضمن معناه, دون الحاجة إلى التصريح المباشر به, فهو يكتفي بتنبيه المتلقي إلى ذلك, ويترك للقارئ اللبيب فهم مقصده, والأمثلة على ذلك كثيرة, منها قوله في وصف حاله مع الزمن: (الديوان:28)

لَبِسْـــتُ رِداء المشـــيبِ الجديـــد ولكنّهـــا جِـــدَّةٌ لِلْبِلَـــى
فَأَكْـــدَيْتُ لمّـــا بَلَغْـــتُ المَـــدَى وعُرِّيـــتُ لمّـــا لبِسْـــتُ النُّهَـــى

وفي البيتين إشارة إلى قوله تعالى: **{وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاَ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا}** (النحل:70) .

ويعزو ابن هانئ ضعف قوته, و ظهور شيب رأسه إلى الزمان, وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى : **{قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا}** (مريم :4) , فيقول: (الديوان: 94)

والشـــيبُ يضـــربُ فـــي فَـــوْدَيَّ بارقَـــهُ والـــدّهرُ يَقْـــدَحُ شـــمْلي بتبديـــدِ

وقد تكون الإشارة إلى الزمان بنص واضحٍ وصريحٍ, لذلك نراه في غاية الإبداع عندما أقسم بالعصر, ووصف الزمان الذي عاشه قبل ممدوحه يحيى بن علي بزمان الخُسر, قائلًا: (الديوان:149)

فـــلا تســـألاني عـــن زمـــاني الـــذي خَـــلا فـــوَ العصـــرِ أنـــي قبـــل يحيَـــى لفـــي خُســـرِ

وفي ذلك تضمين واضح وصريح لقوله تعالى : **{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ}** (العصر: 1–2).

والملاحظ أنَّ الشاعر اقتبس النص القرآني كاملًا, لكنه عمد إلى تحوير الثابت القرآني ((إنَّ الإنسان)), إلى ضمير المتكلم (إني) بما يتناسب وغرضه الشعري, لدوافع قد تكون عقائدية, أو من أجل الغنيمة والمكسب المالي, والتقرب من الممدوح, وهو ديدن أغلب الشعراء.

أمّا الحكمة عند ابن هانئ فهي ليست وليدة العلم والمعرفة الفلسفية, ولكنها خلاصة خبرة ونتيجة تأمل, وهي بسيطة للغاية, لايظهر ليها اثر التصنع الفلسفي, ولا التأمل الفكري العميق, وكأني بهذه الحكمة تساير ثقافة الشاعر العربية الخالصة, التي لم تعقدها الفلسفة بافكارها المتنوعة. (منير ناجي, 1962, ص221).

ولثقافة الشاعر الواسعة, واطلاعه على القرآن وعلومه ومعانيه, نرى أنَّ أغلب حكمه جاءت مستمدة من القرآن الكريم, وهي وإن كانت قليلة قياسًا بالأغراض والفنون الأخرى, إلا أنَّها كان لها بعض النصيب في شعره, فمن حِكَمهِ الشعرية قوله: (الديوان: 141)

ولـم أجـدِ الإنسـانَ إلّا ابـن سـعيهِ فمـن كـان أسـعى كـانَ بالمجـدِ أجْـدَرا

في إشارة واضحة إلى قوله سبحانه وتعالى: **{وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى}** (النجم :39)

وبحكم خبرته وتجربته في الحياة, فهو يعرف جيدًا طبيعة الإنسان, وما جُبلَ عليه من طبعٍ لئيمٍ, فهو يكفر بنعمة ربه, يعدُّ المصائب وينسى نعم الله عليه, وكأنّي به يضمن قوله تعالى : **{إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ}** (العاديات :6) في بيته المعروف: (الديوان:106)

ويـارُبَّ مَـنْ تعليـهِ وهـو مُنـافِسٌ وتُسْـدي إليـه العُـرْفَ وَهـو كَنـودُ

ومن حكمه المستوحاة من النصوص القرآنية الشريفة أيضًا قوله: (الديوان:34)

ومـا خُلِقَـتْ عَبَثًـا أُمـةٌ ولا تَـرَكَ اللهُ قومًـا سُـدَى

ففي هذا البيت نراه يأتي بمعنيين قرآنيين ويجمع بينهما , في صدر البيت وعجزه, ففي صدر البيت يشير إلى أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يخلق هذه الأمم عبثًا, بل لغايةٍ وهدفٍ في هذه الحياة, وهو معنى قوله تعالى: **{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ}** (المؤمنون :115) , وفي عجز البيت يشير إلى أنَّ الله لن يترك الإنسانَ هملًا لا يُنهى ولا يُؤمر ولا يُعاقب, وهو معنى قوله تعالى : **{أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى}** (القيامة:36).

الخاتمة واستنتاجات البحث:

1- كان الحضور الديني واضحًا وجليًا في شعر ابن هانئ الأندلسي وهذا ما لاحظناه من المسحة الدينية البارزة في طيات ديوانه, والمتمثلة بألفاظ القرآن الكريم , وصوره ومعانيه وقصصه, وحكمه.

2- ألقت العقيدة الإسماعيلية بظلالها على شعر ابن هانئ, وأخذ يُطبق أقوالها وافعالها وتفاسيرها القرآنية في شعره , تلك الأقوال والأفعال والمعتقدات التي تُعتبر في بعض الأحيان غلواً في نظر الإسلام المحافظ والدين الحنيف.

3- وظّفَ ابن هانئ النصوص القرآنية بصورة مباشرة وواضحة وصريحة, لم يكتنفها الغموض, والبعض الآخر من النصوص استعمل فيه الجانب الفلسفي, وتركه للقارئ اللبيب.

4- أتخذ الشاعر من النص القرآني, بألفاظه, ومعانيه , وقصصه, وسيلة أراد من خلالها إبراز قيمة ممدوحيه من الخلفاء الفاطميين, وإظهار صفاتهم الجليلة للناس, لذلك كان غرض المديح أهم الأغراض التي تناولت النص القرآني.

5- جاءت التوظيفات القرآنية الأخرى في مختلف الأغراض والفنون, لكن كان أغلبها يندرج تحت غرض المديح.

6- لم يكتفِ ابن هانئ بالمعنى الحقيقي للمفردة القرآنية, بل أورد المعنى المجازي لها, وذلك من أجل الاستفادة من التنوع الدلالي الحاصل, مما يدلُّ على ثقافة الشاعر اللغوية والأدبية.

7- تَعَمُّد ابن هانئ في بعض أبياته الشعرية إلى تحوير الثابت القرآني, بما يناسب وغرضه الشعري.

المصادر والمراجع

من بعد القرآن الكريم

- إبراهيم منصور محمد الياسين, استيحاء التراث في الشعر الأندلسي, عصر الطوائف والمرابطين, ط1, 2006م, أربد, عالم الكتب الحديث.
- إبراهيم ناجي, ابن هانئ الأندلسي درس ونقد , ط1, 1963م, دار النشر للجامعيين.
- ابن خلكان, أحمد بن محمد بن إبراهيم الأربلي (681هـ) , وفيات الأعيان, تحقيق: إحسان عباس, ط1,(د.ت), بيروت, دار صادر.
- ابن منظور, محمد بن مكرّم بن علي الأنصاري (ت711هـ), لسان العرب, تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب, محمد الصادق العبيدي, ط1, 1996, بيروت, دار إحياء التراث العربي, مؤسسة التاريخ العربي.
- إحسان إلهي ظهير, الإسماعيلية تاريخ وعقائد, ط1, 1987م, لاهور, باكستان, مكتبة بيت السلام.
- ديوان ابن هانئ الأندلسي : شرحه وضبط نصوصه وقدّم له : د. عمر فاروق الطبّاع، ط1، 1998م, بيروت, لبنان, شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- زاهد علي , تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هانئ الأندلسي المغربي، ط1 1352هـ , مصر, مطبعة المعارف.

- محمد اليعلاوي, ابن هانئ المغربي الأندلسي, شاعر الدولة الفاطمية,ط1, 1985م, بيروت, لبنان, دار الغرب الإسلامي.
- القاضي النعمان بن محمد (ت 363هـ), المجالس والمسايرات, ط1, 1996م, تحقيق: الحبيب الفقي, وإبراهيم شبوح , ومحمد اليعلاوي, بيروت, لبنان, دار المنتظر.
- وسام قبّاني, تجليات قصة يوسف في الشعر الأندلسي, بين الثابت القرآني والانزياح الشعري, ط1, 2012م, دمشق, الهيئة العامة السورية للكتاب.